جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

شهادة مشاركة

تشهد اللجنة التنظيمية للمؤتمر الدولي

الخطاب الشعري الجزائري المعاصر - البنية وتحولاتها -

شعر عثمان لوصيف (الثورة والكلمة)

وذلك يومي 11-12 نوفمبر 2019، بجامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر- بأن:

الأستاذة: فضيلة بن القمر

قد شارك (ت) في فعاليات المؤتمر المذكور، بمداخلة علمية بعنوان:

تمثلات الوعي الذاتي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر- عثمان لوصيف أنموذجا-

رئيس الملتقى
سعدية
كلية الآداب و اللغات
جامعة بسكرة الجزائر

رئيس القسم

عميد الكلية

11- الجلسة الأولى 2019/11/12

10:15 -8.30:

بقاعة النشاطات

الورشة 03: أ.د/ وافية بن مسعود(قسنطينة) + د/أحلام بن الشيخ (ورقلة)..... المقرر:د/محمد تقفوم (تونس)+ د / وهيبة مجيري

التوقيت	اسم المتدخل	عنوان المداخلة	الجامعة
8:40 -8.30	ط د / أحلام علية	ملامح القصيدة الثورية في شعر عثمان لوصيف.	بسكرة
8:50 -8:40	ط د /حمزة راوية	الحس الثوري للرمز اللغوي في ديوان الكتابة بالنار لعثمان لوصيف	بسكرة
9:00 -8:50	ط د / آسيا مصابحية	جدل الأنساق المضمرة وبناء المتخيل الشّعريّ " ولعينيك هذا الفيض " ل : عثمان لوصيف- أنموذجا-	تبسة
9:10 -9:00	ط د /قوادري فاطمة زهراء عيشوش	المكان الأليجوري وأدلجة التصوير في شعر عثمان لوصيف	خميس مليانة
9:10 -9:00	ط د / فضيلة بن القمر	تمثلات الوعي الذاتي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر- عثمان لوصيف أنموذجا-	الجزائر2
9:20 -9:10	ط د / راجية غانية	جماليات الرمز في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر- عثمان لوصيف أنموذجا –	بسكرة
9:30 -9:20	ط د/ هجيرة طاهري	المرأة الوطن في شعر عثمان لوصيف ديوان غرداية أنموذجاً	بسكرة
9:40 -9:30	ط د / نبيلة شرارة	الانتماء والهوية في الخطاب الشعري المعاصر تجربة عثمان لوصيف –أنموذجا-	تيزي وزو
9:50 -9:40	ط د / رابح كربيع	أبعاد المكان في شعر عثمان لوصيف قالت الوردة أنموذجا	غرداية
10:00 -9:50	مناقشة(15د)		

12- الجلسة الثانية لليوم الثاني 2019/11/12

التوقيت:10:30- 12:00

بقاعة النشاطات

رئيسا الجلسة: د/ نوال بن صالح + د/ صليحة سبقاق ..... المقرر : د/ عبد السلام يسمينة + د/ سامية بوعجاجة

التوقيت	اسم المتدخل	عنوان المداخلة	الجامعة
10:40-10:30	د/ عصام واصل	الأفعال الكلامية في ديوان "أبجدية الروح"	اليمن
10:50 –10:40	د / عثمان مقيرش	روح التصوف في شعر عثمان لوصيف. شبق الياسمين"أنموذجا".	المسيلة
11:00 –10:50	د/ جميلة قرين	الدلالات الصوفية في شعر عثمان لوصيف	بسكرة
11:10 –11:00	د / سامية بوعلاق	الطابع الصوفي بين الحقيقة والخيال قراءة في "قصيدة وهران" لعثمان لوصيف	خنشلة
11:20 -11:10	ط د / عبد القادر سالمي	تجليات التجربة الصوفية في أشعار عثمان لوصيف	بسكرة
11:30 -11:20	د / لخميسي شرفي	الرمز الصوفي في شعر عثمان لوصيف –تشكيلاته الفنية وتجلياته الشعرية	خنشلة
11:40-10:30	د / سامية غشير	جماليّة التّوظيف الصّوفيّ في شعر عثمان لوصيف ديوان "جرس لسماوات تحت الماء" أنموذجا	الشلف
11:50-11:40	ط د / إبراهيم فكرون	الرّمز بين الرؤية الصّوفية والإبداع الفنّي عند عثمان لوصيف	بسكرة
12:00 – 11:50	مناقشة 10د		

تمثلات الوعي الذاتي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر

أ. **فضيلة بن القمر**

جامعة الجزائر2

أبو القاسم سعد الله

الملخص:

يمتلك كل نص شعري معرفيته الخاصة التي يحققها الشاعر بممارسته الواعية تجاه نفسه وكل ما يحيط به من خلال استخدام الكتابة للإفصاح عن مكنونات الذات، حيث يتجلى هذا الوعي الذاتي داخل النصوص الشعرية من خلال تشكل عناصر متعددة الدلالات يمتزج فيها الذاتي والتسجيلي بالمتخيل بشكل فني خاص خصوصية هذا الشاعر.

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ:" **تمثلات الوعي الذاتي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر**" إلى رصد تشكلات الوعي الذاتي ومدى ارتباط الشاعر الجزائري المعاصر بهويته القومية، وذلك من خلال تلمس تمظهرات هذين الهدفين في عنصري التاريخ والمكان انطلاقا من نصوص شعرية مختارة للشاعر الجزائري عثمان لوصيف –رحمه الله–.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الوعي، الذات، المكان، التاريخ.

Abstract:

Each poetic text has its own special knowledge, which is achieved by the poem's conscious practice towards and around himself through writing to express his own thought; this consciousness is shown within the poetic text through the formation of poly semantic elements in which the own ideas are mixed with the recorded and the imagined ones in a special way. This study is entitled as: "The own consciousness' aspects within the Algerian contemporary

poetic discourse “. It aims at monitoring the own consciousness’ forms and the extent that the Algerian contemporary poet is linked with his national identity through scrutinising the history and the place within the chosen texts of the Algerian poet Ottoman Lousif, god’s mercy be upon him.

Keywords: the poem, the consciousness, the own, the history, the place.

تقديـــم:

لقد شهد الشعر الجزائري المعاصر تطورا ملحوظا شكلا ومضمونا، ما ساهم في إثراء المدونة الشعرية الجزائرية بنماذج شعرية استطاع كتابها مجاراة الحداثة الشعرية العربية، إذ حاول الشاعر الجزائري فيها تحقيق ذاته من خلال تمثله لروح عصره، وتخلصه من الإيديولوجيات المتطرفة التي لطالما حبسته في قوقعة من القتامة داخل إطار محدد، وقد استطاع الشعراء الجزائريين تشكيل رؤيتهم الذاتية لكونهم، وإعادة بناء هويتهم الوطنية والقومية.

ومن الأصوات الشعرية التي ساهمت في ميلاد شعرية جزائرية تزخر بالخصوصيات التعبيرية ، والرؤى الفكرية الشاعر عثمان لوصيف –رحمه الله– ، والذي كغيره من شعراء جيله اعتمد على مرجعياته الذاتية في بناء العديد من متونه الشعرية، إذ ارتبط وعي الذات عنده بصور التاريخ بمختلف أبعاده، ليتحول بذلك انتماء لوصيف للتاريخ والمكان من أبرز العناصر التي ارتكزت عليها نصوصه الشعرية.

انطلاقا من هذا فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة عن تساؤلين انطولوجيين وهما :

- ما هو مفهوم الوعي الذاتي؟ وما علاقته بالشعر والشاعر؟.

ولتوضيح هذا المفهوم والبحث عن تشكلاته في الشعر الجزائري ستحاول الدراسة البحث عن هذا التشكل من خلال الإجابة عن التساؤل التالي:

–كيف تجلى الوعي الذاتي في بعض قصائد الشاعر عثمان لوصيف؟.

تطرح قضية الوعي في الشعر عدة تساؤلات، أهمها ما تعلق بمرجعياته، وقد أجملت دليلة مكسح في مقال لها عدة تسميات ترتبط بمفهوم الشعر ووعي الشاعر انطلاقا من التنظيرات النقدية العربية للشعر، نلخصها في الآتي:

- **الوعي الشعري:** ويعتبر عند بعضهم –وإن اختلفت التسميات– عملية إبداعية فكرية ومنهم من تجاوز هذه التسمية مكتفيا ببعدي الشعر، حيث رأى ضياء خيضر أن للشعر وعيان وعيه بنفسه ووعيه بعصره.
- **الوعي النصي:** هو قدرة الشعر على التناغم مع مختلف النصوص السابقة لوجوده والمعاصرة له سواء أكانت فكرية أو أدبية، بحيث يقيم معها تحاورا متعدد الأبعاد ليشكل في النهاية خصوصيته المعرفية.
- **الوعي الأدبي:** وهو قدرة الأدب على الانزياح، باعتبار هذا الأخير مظهرا من مظاهر ممارسة التخييل.
- **الوعي الفني والوعي الجمالي:** للدلالة على ما يحتويه الشعر من معرفة بقدراته الإبداعية في تشكيل عالمه الخاص.
- **الوعي الإبداعي:** يشار به إلى الجانب الشكلي للنص الشعري وما يحويه من قيم فنية.
- **الوعي الكتابي:** وهو القدرة على الافصاح عن مكنونات الذات وذلك باستخدام الكتابة"[1].

ومن خلال هذا المفهوم الأخير المتعلق بالذات وقدرة الكاتب/الشاعر على استيعاب ذاته، استعمل الدكتور عباس بن يحي مفهوما جديدا للوعي في الشعر وهو الوعي الذاتي. وهنا نجد أنفسنا أمام مصطلح يطرح نفسه للتحليل والمناقشة، وهو ما سيحاول العنوان الآتي إماطة اللثام عنه.

1-الوعي الذاتي:

لقد تطرق علماء النفس والفلاسفة إلى مفهوم الوعي الذاتي؛ نجد سبركن يرى أنه "عبارة عن ادراك وتقويم الإنسان لأفعاله ونتائج تلك الأفعال والأفكار والإحساسات، والسمات الأخلاقية،

[1] ينظر: دليلة مكسح: معرفية الشعر في النقد العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب واللغات، ع16، جامعة بسكرة، ديسمبر 2014، ص: 223-224-225.

والاهتمامات، والمثل، ودوافع السلوك، التقويم التام لذاته نفسها ولمكانته في الحياة"[2]، أما في القاموس الفلسفي فهو عبارة عن "فصل الإنسان لذاته عن العالم الموضوعي، إدراك وتقويم علاقته بالعالم، وعلاقته بذاته كشخصية، وعلاقته بأفعاله وتصرفاته، وتفكيره وإحساساته، ورغباته واهتماماته"[3]، الملاحظ من التعرفين أنهما ارتبطا بتقويم وتهذيب النفس البشرية من خلال عالمها وتقويم علاقاتها معه فلا يمكن أن تكون الذات معزولة عن ما يحيط بها.

ولأن "الكتابة هي فعل الذات لغة وهي تأسيس لعالم (الأنا) المموضعة في سياق التاريخ"[4] كما يرى الدكتور مشري بن خليفة؛ فإن الوعي الكتابي يتصل "من حيث الجوهر بذلك الوعي بالذات في مراحله المستوعبة داخليا بدرجة عالية، وهي المراحل التي لا يكون الفرد فيها غارقا دون وعي منه في البنيات الجماعية. ويؤكد هذا التعريف من ناحية أن وعي الذات بذاتها لا يتشكل بمعزل عن جدلها مع الآخر ومع العالم"[5]، فالوعي الكتابي يتمثل في "تلك القدرة التأملية والقدرة على الإفصاح عن مكنون الذات باستخدام الكتابة على نحو جوهري"[6].

يؤكد لاكان أن الذات لا تبرز إلى الوجود إلا بعد أن تكتسب الوعي، أي بعد أن تكون مفهوما عن النفس. ويرى أن هذا يحدث في لحظة خيالية، يدعوها "المرآة" ويمكن مجازيا اعتبارها مفهوما خياليا عن النفس لا يتطلب مرآة حقيقية ولا حتى انعكاسا، وإنما مجرد إشارة إلى صورة لا تنطوي على معرفة بالنفس"[7]، فالنفس باكتشافها ذاتها "تتحول من ذات موجهة إلى الخارج إلى ذات موجهة إلى الداخل"[8] وهنا

---

[2] علي بن صالح الشايع، وليد أحمد المصري: مفهوم الوعي الذاتي من الطفولة إلى الشباب من منظور الفلسفة وعلم النفس النمائي، دراسة تحليلية وصفية، مجلة البحوث والدراسات، ع12، صيف 2011، ص: 276.

[3] المرجع نفسه، (ص، ن).

[4] مشري بن خليفة: النقد المعاصر والقصيدة الحديثة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013 ص:193.

[5] حسن البنا عز الدين: الشعرية والثقافة، مفهوم الوعي الكتابي وملامحه في الشعر العربي القديم، المركز الثقافي العربي، ط01، المغرب، 2003، ص: 68.

[6] المرجع نفسه، ص: 71.

[7] فاطمة الوهيبي: المكان والجسد والقصيدة، المواجهة وتجليات الذات، المركز الثقافي العربي، ط01 المغرب، 2005، ص: 141.

[8] حسن البنا عز الدين: الشعرية والثقافة، المرجع السابق، ص: 39.

"ترى العالم الخارجي من خلال وعيها بهويتها، ووعيها باختلافها عن الذوات الأخرى واتصالها بها في الوقت نفسه"[9].

والخطاب الأدبي عامة والشعري منه خاصة هو تعبير عن الذات الإنسانية بمختلف حالاتها؛ ذلك أنه "تجربة الأديب ومعاناته في مختلف مستوياتها،... وعلى اعتبار أن النص بمضامينه وأشكاله ما هو إلا موقف خلقه المبدع –في ظل شروط اجتماعية وسياسية وحضارية– من أجل تبليغ رسالة ما، ومن أجل إحداث تأثير ما، كما أنه رؤيا تحاول تجاوز واقع مكرس"[10]. والذات ليست "وحدها التي تنتج الخطاب إذن أو تمتلك بالضرورة سلطته، لكنها هي التي تتحمل جريرته، وهي التي تنظم القول ومنها تنجم المعينات/ الإشاريات، وهي التي ترسم وجهة النظر وتنتجها وتحدد نظام القيم الناشئ عنها"[11].

لهذا فإن النص الأدبي والشعري منه تحديدا المرتبط بالوعي الذاتي لدى الشاعر حصرا "لا يفي بمتطلبات الرؤية الشعرية المطلوبة، لأن الرسالة الشعرية عليها أن تستثمر مرجعيات الواقع من أجل تشغيل طاقاتها السردية الحكائية القائمة على تجربة (ذاتية) حية، ومن ثم تمزجها بطاقات التخييل المنفتحة على فضاء الموضوع"[12]. فالتجربة الذاتية عندما تمتزج بالتجربة الشعرية تشكل صورة نابضة بالحياة، ويتحقق هذا عندما يمتزج الوعي المتخيل بالوعي الذاتي.

لذا كانت "الكتابة– النص هي نواة التأمل الصوفي، الذي أعطاها حمولة صوفية، وأخرجها مخرجا أخر لتحل في القلب وتصدر عنه، وتتعلق بالذات ."[13]

2– تمثلات الوعي الذاتي في شعر عثمان لوصيف:

حرص عثمان لوصيف في مختلف قصائده على التعبير عن قضاياه الشخصية من خلال معاناته، وفقره، وكذا معاناة بني جلدته من الشعراء الجزائريين. عبر عن نقمه وتشاؤمه من مكان عيشه، وصف

---

[9] المرجع نفسه، (ص، ن).

[10] قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد كتاب العرب، سوريا، 2001، ص: 207.

[11] أحمد الحيزم: من شعرية اللغة إلى شعرية الذات، قراءات في ضوء لسانيات الخطاب، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2016، ص: 16.

[12] محمد صابر عبيد: انفتاحات النص الشعري، إشكالية التحويل.. فضاء التأويل، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط01، الأردن،2015، ص: 43–44.

[13] مشري بن خليفة: النقد المعاصر والقصيدة الحديثة ، مرجع سابق، ص: 194.

مختلف المدن الجزائرية، تحدث عن الثورة ومعاناة الشعب الجزائري، سخر قلمه كسلاح للدفاع عن أمته العربية وبخاصة فلسطين، ركب في كل هذا بين ذاته وواقعه، مزج فيها بين المتخيل والمشهود.

وسأتطرق لتبيان مختلف هذه العناصر التي ارتبطت فيها المكان، والتاريخ، والهوية بالوعي الذاتي، وذلك من خلال تمثلات الوعي الذاتي في المكان والتاريخ.

أ- الوعي الذاتي والمكان:

إن المكان الأنثربولوجي، هو الحيز الذي يحتوي الذاكرة والذات والأحلام، ويؤسس لرؤيا تنفذ إلى اللاوعي الجماعي، المغيب في ذواتنا وأحلامنا.. إن المكان هنا يقبض على اللغة الأولى المنسية، على الطقس الأول الذي يحقق تجليات الروح والإنسان في حالة اكتشاف الأنا"[14].

وقد توصل طارق زيناي في مقال له حول المكان في المخيال الصوفي إلى أن "الفضاء الصوفي يشكل نموذجا جماليا يحيل إلى حركة الوعي الداخلي؛ الذي يعيد انتاج الأشكال عبر الخلق والتخيل والإبداع، حيث يكتسب حيويته وديناميته من انطباع الحقائق والأسرار المستنبطة في هذه الفضاءات المكانية على هذه الذات"[15]، وهذا ما يميز انتاج لوصيف إذ يركب بين المتخيل والمشهود، بحيث تكون فيه الذات هي مصدر هذا الإبداع، فيلجأ إلى عناصر الطبيعة ويتماهى مع هذه العناصر.

يقول لوصيف:[16]

ثملا ببخوراتها.. موغلا في التراتيل
هومت بين بساتين زرقاء
هفهافة الظّل
بين عرائس ماء يسرحن فوضى جدائلهن
ويغمسن في الشمس فاتحة العشق
ثم ينمن على سرر من تعاويذ
كان الأصيل ينث رذاذ الأشعة بين ذراعي
والسعفات التي تتأرجح في اللازورد

---

[14] المرجع نفسه، ص: 152.

[15] طارق زيناي: صورة المكان في المخيال الصوفي، مجلة الخطاب، ع01، مج13، الجزائر، فيفري 2018، ص: 190.

[16] عثمان لوصيف: غرداية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1665، ص: 52.

يعانقني عطرها الشبقي

فأغرق في غيمة من ذهول وأحلم...

وفي بحثه عن ذاته المتألمة داخل المكان؛ داخل الوطن المجروح يقول لوصيف[17]:

بحيرات.. وأودية جروح

وهناك أعمدة.. مدائن أفقرت من أهلها

وتقوضت فيها المعابد والصروح

وأنا أطير.. أطير مشتعلا

أسائل كل مزمار يضيء الليل عن معنى

وأبحث في فضاء الروح عن مغنى

أغني أو أصلي أو أبوح

وتشكل القصيدة مكان الذات الذي "تتجسد من خلاله رؤاها ومعاناتها وأحاسيسها في علاقاتها بالكون والكائنات... إذ تتموضع في اللغة وتجد فيها سكنها، ومن خلال هذا التموضع تجد الذات، أو تحاول أن تجد، هويتها. وهذه الهوية مع الهوية المادية الجسدية هويتان تتحركان في جسد العالم وفضاءات المكان. وهو تموضع وجودي حتمي؛ لأن المكان الأكبر (الأرض/ الوطن) يملك هويته ويفرض خطابه الاجتماعي والثقافي والحضاري"[18] وقد زخر المعجم اللفظي للشاعر الجزائري المعاصر بألفاظ ترتبط بالحقل الاجتماعي ارتبطت أغلبها بالضياع والارتحال والنفي الاغتراب.

[17] عثمان لوصيف: جرس لسماوات تحت الماء، جمعية البيت للثقافة والفنون، الجزائر، 2008 ص: 25.

[18] فاطمة الوهيبي: المكان والجسد والقصيدة، المواجهة وتجليات الذات، المركز الثقافي العربي، ط01، المغرب، 2005، ص: 43.

وانتقل لفظ الاغتراب إلى الشعر الجزائري المعاصر خاصة المتجه نحو الخطاب الصوفي، "نتيجة ما لاقاه الشاعر من تناقض في هذا الواقع القلق، وضمن هذا المسار كانت بنية "الاغتراب" العصا السحرية لدى "عثمان لوصيف" في نقل تجربته للقارئ"[19]

حيث أنه برز خصوصا فيما تعلق بالحديث عن الأمكنة، وقد برز لفظ الاغتراب عند لوصيف في العديد من مقاطعه الشعرية إذ يعبر فيه عن غربته وهو في وطنه وبين أهله فباتت غربته غربة روح لا جسد، يقول في قصيدة " المنفى" [20]:

منفي أنت... يحاصرك الرمل

ويزاحم مضجعك النمل

في سبخة هذه البلدة...

حيث الموت... فلا نوارة ولا أزرار

آه... يا نار الجراح!

و يا جوع المزمار

مكسور أنت هنا... مكسور

فهو يصور مسقط رأسه طولقة وكأنها مدينة مقبرة لا حياة فيها، مدينة نفي فيها، ويصرح عن اغترابه فيها بقوله[21]:

آه... يا زنبقة الأوجاع!

آه... يا معجزة الإبداع!

هل ينفى الشاعر في مسقط رأسه؟

---

[19] حميدة صباحي: قراءة تأويلية في شعر عثمان لوصيف، بين المركز وهامش، مجلة المخبر، ع08 بسكرة، الجزائر، 2012، ص: 287.

[20] عثمان لوصيف: نمش وهديل، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1999، ص: 50.

[21] المرجع نفسه، (ص، ن).

هل نار الحرف تضاعف من نحسه؟

وهو ما دعاه للإحساس بانكسار ذاته، ما دفعه للتقوقع على نفسه وانعزاله عن ما يحيط به يقول[22]:

أجلس للمأساة وحيدا

أشرب نخب الهزائم

وحيدا.. أسند حلمي إلى الشظايا وأسأل:

من الساحرة في الفجائع والانهيارات؟

لقد حفلت كتابات لوصيف الشعرية بالكثير من المدن الجزائرية، فهو معروف بكثرة التنقل والترحال بين المدن الجزائرية، ومن المدن التي استحضرها في متون شعره نجد: الأغواط، الجلفة، سطيف، باتنة، تيزي وزو، العاصمة، ورقلة، وهران، يقول[23]:

كل يوم أطاردها في المدائن

عبر شوارع وهران

في نور بسكرة

وسطيف

وعنابة

في الجبال.. وعبر الفلا

وهي في الكل واحدة

تتقمص كل الرموز وتلبس كل المعان

آهِ.. امرأة تتسمى فيبتهج الله

ثم ترددها الكائنات:

جزائر

[22] عثمان لوصيف: براءة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1997، ص: 31.

[23] عثمان لوصيف، غرداية، مرجع سابق، ص: 81.

جزائر

جزائر

ليفر إلى غرداية ويتغنى بها، كونها ملاذه الذاتي ومبعث راحته النفسية، ليقول[24] :

فافسحي لي بعينيك هدبا وحيدا

فأنا الطائر الصب

صوفيك المتوحش

شاعرك البدوي

وفارسك المتسربل باللعنات

إن المكان يسهم "إسهاما فاعلا في تحديد شكل الهوية وأنموذجا إذ لا هوية من دون مكان شخصي مميز، وتؤدي الذاكرة دورا مهما على صعيد استرجاع المكان المفقود، أو استحضار المكان المهدد بفقدان الهوية، ويستعين الشعر بالذاكرة في هذا السبيل من أجل تنوير عنصر المكان الذاكراتي شعريا"[25] .

ب- الوعي الذاتي والتاريخ :

يرى الدكتور عباس بن يحي أن جيل الثمانينيات من الشعراء في توظيفه للتاريخ ابتعد عن كونه مؤرخ يوظفه من باب تسجيلي، إذ فضل بناء قصيدته من خلال "إعادة بناءه من جديد في ضوء مسار الحاضر؛ أي اشراكه كعنصر بنائي ودلالي أساسي في تركيب العمل الفني"[26]

إلا أن هذا الجيل قارب مفهوم التاريخ في تجاربه الشعرية حينما تخلى عن اعتبار الذات مرجعية إيديولوجية ؛ إذ غيبت الطروحات الايديولوجية المتطرفة هذه الذات وذلك من خلال ممارسة "سلطتها

---

[24] المرجع نفسه، ص: 15.

[25] محمد صابر عبيد: انفتاحات النص الشعري، إشكالية التحويل.. فضاء التأويل، مرجع سابق، ص: 211.

[26] عباس بن يحي: وعي الذات فرص ضائعة وأفق محدود، حول الهوية في الشعر الجزائري الحديث من خلال مفدي زكريا لوصيف عثمان، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، ع01، جامعة المسيلة، الجزائر، مارس 2009، ص: 42.

المتعالية على النص إلى درجة تشيء الذات المبدعة وإخراجها من الإحالة إلى أعماقها"[27] فأصبح من الصعب بما كان على الشاعر أن يعبر عن تجربته الذاتية من خلال تماهيها مع واقعه.

وإذا كانت الذات في مفهومها البسيط "تتمثل في الحضور الفيزيقي للشخصية فإن الأبعاد العقلية التي تكوّن هذه الذات هي التي تمنحها معاني أبعد من فكرة الانحسار في الحضور الشخصي الفيزيقي، وهي على هذا النحو ترتبط بفكرة أخرى، بمفهوم آخر هو مفهوم الهوية"[28]، وهذه الأخيرة هي التي انطلق من خلالها للخوض في ذاتيته الفردية والجماعية.

من هذا المنطلق، نجد لوصيف سخر شعره للتعبير عن معاناة وطنه إبان حقبة الاستعمار الفرنسي، وكما نلمس احساسه بهويته القومية ، لتتجاوز رؤيته الذاتية حدود وطنه إلى انتماءه العربي وتحديدا فلسطين بلد الصراع الأبدي بين العرب واليهود ، يقول[29]:

أنا آت يا فلسطين

الجراح

لأغنيك أهازيج الكفاح

وأغنيك الفحولة

وأقاصيص البطولة

ليس في زوادتي اليوم طرب

إن ألحاني سيوف من لهب

وبالعودة إلى تاريخ وطنه ، إلى زمن ثورة التحرير العظيمة ، مزج ضمير الأنا المنكسر مع الضمير الجمعي المنفصل عن الحياة، المستتر في الظلام، يقول لوصيف[30]:

---

[27] بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد برادة ، حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2001، ص: 145.

[28] مهدي صلاح الجويدي: الخطاب الشعري وتفاعل الأبنية الثقافية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط01، الأردن، 2013، ص: 21.

[29] عثمان لوصيف: الإرهاصات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1997، ص: 41.

كم غبنا عن الدنيا قرونا وقرون

وعلى أنقاضنا تجري التواريخ

ويجري العابرون

آه!

كم نحن رقدنا والصقور

في السماوات تدور

ونسينا في ديناميس الظلام

بعودة لوصيف إلى الزمن الماضي، زمن النضال والاستعمار جمع فنيا بألفاظ حزينة ودلالات عميقة بين حسه الفردي وحسه الجمعي لتتماهى الأنا بالنحن.

ينبعث التمرد على كل ما هو سائد من عمق التاريخ البشري، وعلى كل الأصعدة ولوصيف يجسد من خلال المقطع التالي تمرد وثورة –إن صح التعبير– شعراء جاهليين ربط حياة وشعر كل منهم بذاتيته التي تتجلى من خلال وعيهم بها وذلك بتجسيد هذا الوعي من خلال أبياتهم الشعرية، كما يعود أيضا إلى الاساطير بالتمثيل بالسندباد.

يقول لوصيف[31] :

صعاليك

هذا تأبط شرا يروع القبائل

والشنفرى ينتضي قوسه

ويصب سهاما..

وهذا الحطيئة يهجو الحُطيئةَ

---

[30] المرجع نفسه، ص: 38–39.

[31] عثمان لوصيف: أبجديات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص:46–47.

والمتنبي يطاعن خيلا وليلا..

وهذا المعري يغور في العتمات

بعينين وهاجتين

يخوض المحيطات كالسندباد

وكل من هؤلاء الرموز الست ثاروا على ما كان سائدا في زمانهم، أبرز من خلالهم معاناة الشعراء والتي هي جزء من معاناته في زمنه الحاضر، فهو عاد بالزمن الماضي إلى التاريخ الأدبي الذي وجد ذاته تتقاسم مع شعراءه نفس الوعي.

ختاما:

ما يمكن أن يستشف من خلال ما قدم أن الأنا شكلت أرضية خصبة لحضور الوعي الذاتي في الشعر المعاصر العربي والجزائري منه خاصة، وشكلت عند عثمان لوصيف وجودا معرفيا لرؤيا الهوية لديه كما أن الذات مع حركية الوعي عنده تمثلت في طاقات تعبيرية، استطاع لوصيف من خلالها تمثيل ذاته وإثبات حضورها من خلال عنصري المكان والتاريخ، وإن لم يكن الوعي الذاتي عنده ينبئ عن الرؤيا الاستشرافية.